www.assafir.com
فنون وعلوم
تاريخ المقال: ٠٢-١٠-٢٠١٥ ٠٢:١٦ AM

هديتي إلى «عدنان»
«دَهَب أيلول»

وداد حلواني

رجع أيلول وإنتَ بعيد.. ورقو الأصفر شهر أيلول.. صار راجع ٣٣ مرة وبَعدَكْ ما جيتْ.. صراحة، كلما سمعتُ هذه الأغنية أشعر أنّ الست العظيمة «فيروز» غنّتها وتغنيها خصيصاً لي وكذلك مَن كتب كلماتها ومَن لحّنها..

«بيصير يبكّيني شتي أيلول ويفيّقني عليك يا حبيبي... وليالي شتي أيلول بتشبه عينيْك..». صوتٌ يغورُ في الأعماق.. يُخرجُ داخلي من داخلي إلى العراء.. فأنكفئ عن المكان والزمان والكلام في محاولة لإعادة توضيبِ نفسي مع نفسي..

غير أنّ مطر أيلول بالأمس، وإن لم يخلُ من طعم حزن ومرارة، كان مطعّماً بنكهة طيّبة.. وليعذرني شباب الحراك عن تخلّفي وعدم الانضمام إلى نشاطهم اليوم، فأنا اشتقتُ إلى حبيبي، أحتاج إلى خلوة معه، لديّ الكثير من المواضيع أودّ إطلاعه عليها. أيضاً لديّ رغبة لأحدّثَه عنكم، لأخبرَه عن مولودكم ابن الشهرين، عن جهودكم من أجل رعايته وحمايته وتأمين استمراريته.. لأعرّفَه على الغاضبين والخائفين من رضيعكم، وعلى المبتهجين والمرحّبين بمجيئه.. علّني بذلك أستطيع أن أثقبَ سواد يوميات حبيبِ سُرقَ من حياتِه ومِنّا في وضح النهار.. أن أحملَ إليه بعض فرح نسيَ طعمَه، أن أخرجَه من صمتِ لا ينتهي.. إنّ ما حصل ويحصل سيعيدك «عدنان»، كما أعادني، سنوات إلى الوراء، الى الزمن الذي كنّا فيه بعمر شباب اليوم، بعمر ولدَينا.. مثلُهم غَضبْنا، مثلُهم تظاهرنا، مثلُهم أجسادُنا ملأت الساحات ذاتها ـ التي مهما غيّروا أسماءها وشوّهوا سماتِها فلن تفقدَ الذاكرة، لن تُصاب بانفصام ـ مثلُهم سواعدُنا مرفوعة والحناجر تهتف «خبز وعلم وحرية»... ما جرى «عدنان» أعاد حبّنا لبيروت، أحيا لدينا أمل اللقاء بها مجدداً حلوة، حرّة، كما كانتْ وكما تعرفها حبيبي..

قشّةٌ قصمتْ ظهر البعير

جاء الصيف، انفلتت الزبالة من كل عقال.. من كل مستوعب «سوكليني» ومن أخواته.. لم توفر أوتوستراداً ولا شارعاً ولا زاروباً إلاّ وفاضتْ عليها وعلى الأنوف بخيراتها..!! لأوّلِ مرةٍ يحصلُ توازنٌ في لبنان، توازنٌ ليس بالإنماء بل بالزبالة..!!

لقد تمدّدتِ الزبالة بشكل هستيري في طول البلاد وعرضِها، ثم ارتفعتْ مع الأيام، فإذا بنا أمام مشهديةِ تستحدثُ جغرافيا بتضاريسَ عمودية وعطر نتن..فإذا بنا أمام مشهدية تحاكي جغرافيا بَحْرية تمدّدتْ أفقياً بفعلِ ردمٍ بلّطوا البحرَ به، والعطرُ نتن.. وهنا يا عزيزي،

ومن منطلق تخصّصَيْنا في التاريخ والجغرافيا، لا بد من إطلاق صرخةِ بوجوبِ إعادةِ النظر بالـ١٠٤٥٢ كلم٢، بالتقسيماتِ الإدارية وبترسيم الحدود العطرة حفاظاً على لبنان الكبير..
#طلعت_ريحتكم، #بدنا_نحاسب، #فلّوا، #مستمرون، #عالشارع، #الشعب_يريد، #عكار_منّا_مزبلة، #إنماء_متوازن، #حراك٢٩ آب، #كلن_يعني_كلن، #التغيير_جايي، #شباب_ضد_النظام، #حلّوا_عنّا، #لبنان، #نحن_المندسّين، #ذوق_يا_مشنوق، #شباب ٢٢ آب، #شباب _عاطل_ عن العمل، #الانتفاضة الشعبية الطرابلسية.....
قد تتساءل «عدنان» عن ماهية هذه الصرخات.. إنها لائحةٌ غير مكتملة للتسميات التي تكنَّتْ بها المجموعاتُ المنتفضة ضد تكدّس الزبالة في الشوارع.. ومن المرجّح أنها ستتوالد وتتكاثر.. قد تتساءل عن خلوّ اللائحة من اسم أي حزب أو تنظيم أو حركة من الرائجين في زمنك، من أي من المنظّمات الطلابية والنقابية المنبثقة عنها.. صحيح، وهذا من أحد إنجازات الحراك الشبابي، ومن حسن حظّه.. وحظّنا..! جُلّ مَن تفتقد «عدنان» قد ترهّل و «خلصت مدتّو»... صراحة، لا رغبة لديّ ولا قدرة لتفصيل وتفكيك مساراتِ ضلّتْ، انحرفتْ، ارتشتْ، تبدّلتْ، تقمّصت، هربت، اضمحلّت، و، و... وإن بقي رمقٌ لدى مخضرم ما من هذا القبيل، تراه ما يزال مراهناً على مستقبله، متنكراً لسن اليأس والعجز الذي بلغه، واضعاً «إجر بالفلاحة وإجر بالبور»، محاولاً ركوب موج الحراك، متربصاً للزحف إلى أي موقع قد يتوفّر..
أتمنى، مثل ما تمنّتْ صديقة لي في فلسطين، لو كان لدّي «يو آس بي» وقتذاك، وحشوتُه بمعلّقات هؤلاء عن الوطن والمواطنية .. ولو أعدتُه على مسامعهم اليوم لسبقوني إلى كبس زرّ الـ «delete..»!!
السكوت لم يعدْ من ذهَب
فجّرتْ الزبالة كل الغضب المخزون في صدور الناس منذ سنوات ما بعد الحرب.. فلفَشتْ في صفحات القهر والجوع والحرمان، عرّتْ تفاهةَ السلطة وخواءَ المؤسسات.. ظهّرَتْ بالأحمر العريض سرقاتِ «الكبار» حكاماً، زعامات ورؤساء أحزاب، سماسرة وتجاراً.. انتزعت الستار الحاجب عن ولائم الاستيلاء على مال الناس والأرزاق.. استحضرت معاركهم وحروبهم المتنقلة التي أنهكت البلاد والعباد..!!
في لبنان، ترجّلَ الغضب وزمجر.. صبايا وشباب ملأوا الساحات، زيّنوها بمروحة ملوانتِهم المزركشةِ الزاهية.. حناجرُ صدحتْ تسمّي الأشياءَ بأسمائها، ترصدُ ذوبانَ الثلج، تستعجلُ ظهورَ مرج يرتعدُ منه أهلُ السلطة.. صدى الاحتجاجات طال مسامع الناس، كل الناس.. نساءً ورجالاً، شيوخاً وأطفالاً نزلوا إلى الشارع إيماناً بالصحوة.. خرجوا من جلباب الطوائف وسطوة السياسيين القابضين على روح البلاد وأرواح ناسها.. سطّروا يافطاتِهم وانضمّوا إلى الحراك.. أما استعمال كماماتِ تقي من الجراثيم كان أمراً ثانوياً لهؤلاء، فالخطرُ الخطرُ ينبعثُ من قاذوراتِ تحتلُ الكراسي والمناصب.. وناسُ الحراكِ يبحثون عن وطن.. تماماً مثل كامل بشناق الذي يتردّد صوته الآن في أذني.. «خدوا المناصب والمكاسب لكنْ خلّوا لي وطن... وطني أغلى من الكراسي...». كم أوّد يا عدنان أن تتذوّق معي ما كتبه وغنّاه ذلك التونسي الرائع..
في الأفق يلوح «البوعزيزي»، يريد الاطمئنان على ما يجري في لبنان.. في أفقنا المغشّى، «البوعزيزي» تفيّأ براية الحراك.. تدفّأ بنار موقده، بلهيبِ تماهى مع قشّة النفايات التي قصمتْ ظهر البعير..!! «توفيق خوّام»&& وداعاً.. «توفيق خوّام» عذراً إن

تطقّلتُ عليك في مماتِك وقلتُ إنك بهذه الخطوة قد دمَغتَ، برمادِك، جباهَ الحكّام بوصمة عار لا تُمحى إلى أبد الآبدين..

حراكٌ مندسّ

في لبنان، حراك الشباب أثار غضب «الكبار». وحتماً تعلمُ يا عدنان أن غضبَ «الكبار» مختلِفٌ عن غضبِ الناس.. غضبهُم، بدوره، هرولَ إلى الشارع. قامَ هؤلاء ببلع مؤقتِ لخلافاتِهم وعصبياتِهم وأحقادِهم مصطنعين تحاباً لم يعد ينطلي على أحد. لبسوا ما يليقُ بالمناسبة.. تزيّنوا بأشواكِ وأسلاك. تسلّحوا بالسلاح والاسمنت. أمطروا ساحاتِ الحراكِ بخراطيم سرَقتْ المياهَ من حنفياتِ بيوتِنا. استمتعوا بمشهد قنابل دخان فتكَتْ بالعيون والصدور. أمروا بإطلاق الرصاص الحي والمطاطي، تساقط جرحى، الرصاصةُ التي شلّتْ الشاب محمد قصير لم تكن طائشة، ولا تلك التي اقتلعت منه عيناً..!

لم يتعبوا بفبركةِ تهمِ ألصقوها بالحراك كونها فيهم وفي مفرداتِهم وعدةِ أشغالِهم..

لم تغبْ عن بالِهم الموبوء أهميةُ التضليل والتزييف بهدف التشويش ظناً منهم أنه يفعلُ فعلَه بتفكيكِ الحراكِ وتفريغِه..

يا للسخرية يا عدنان، المُبكي فعلاً يُضحك، لقد انقلبَ هؤلاء على التشويش بتأييد الحراك وإسداء النصح للشباب بضرورة الاستمرار خوفاً على توقّفه.. اختلط حابلهم بنابلهم، اختلّ توازُنُهم لدرجة صاروا يتراشقون بالتهم الموجّهة إليهم. القاسمُ المشتركُ: حقيقةٌ أقرّوا بها بـ «عظمة لسانُن» أنهم فاسدون.. وحبسوا أنفسَهم وراء جدرانِ عار، خارجها حناجر أحرار..

كم هي من مشهدية كاريكاتورية محفّزة لكل فنانِ مبدع..!

ربيع وصيف تحت سقف واحد

صَيّفْ يا صيف عا جبهة حبيبي، المسيرة مستمرة، وهو يسير بجانبي مردّداً الهتافات..

رأيت باقي المفقودين يمشون في «بلوك» خاص بهم، ثم ما لبثوا أن تناثروا بين المتظاهرين، يهتفون معهم.. لربما هم «المندسّون» وفقاً لادعاءات المتضرّرين والجبناء والمتفلسفين..! لا يَهمّ، المهمّ أنكم معنا..

سألتني مرة إحدى الإعلاميات الميدانيات عن سبب حملي يافطة «حقّنا نعرف» في نشاطات الحراك كافة، وعن الرابط بينهما. وجدتُني أذكّرها بمفاصل نضال أهالي المفقودين، لا سيما حراكنا الأخير، الربيع المنصرم، بمناسبة مرور ٤٠ عاماً على الحرب في لبنان، والذي دام ٤٠ يوماً. المادة المرئية لهذا الحراك كانت كناية عن أربع صور، كل واحدة تطرح سؤالاً. أسئلة أربعة شغلتها جامعة للهموم التي يعاني منها اللبنانيون بانتماءاتهم كافة وهي: حكّام لبنان ويْنكُن؟ مواطنو لبنان ويْنّا؟ أطفال لبنان لَوين؟ مفقودو لبنان ويْنُون؟

ربما سنعاود حمل هذه الصور في النشاط المقبل الذي سيدعو الحراك إليه... وسنتشاور في ما بيننا بشأن حمل الصورة المتعلقة بالمفقودين أو عدمه ما دام المفقودون يتظاهرون معنا..

أعتقد أن الإعلامية استطاعت استيعاب العلاقة بين «ربيعنا» و «صيف الحراك». الهمُّ واحد، الحلم واحد والمفردات واحدة..

وكأن بذورَ الربيع تبشّرُ بنضوج واعد يرفضُ الإحباطَ ويُلغي ذهنيةَ استحالة التغيير.. على أمل الصيرورة على مشارفه.. على أمل أن لا تطول المسافة بين الحلم وترجمته.. لنُصبحَ على وطن.

نقطة ع السطر.

في الويك آند، نظّم نائل (٧ سنوات) وليان (٤ سنوات ونصف) مظاهرة احتجاجية في بيتي.. استهلّاها بالمقطع الأول من النشيد الوطني.. طبعاً كل علمه بيده، وهو صناعة يدوية ١٠٠%.. ثم توالت الهتافات: «زبالة.. زبالة.. ما بدنا زبالة بالشارع.. زبالة زبالة ما بقا بدنا زبالة بالبلد، أوكي؟».. ثم ردّدا بحماس الشعار الموضة، الرمز «الشعب – يريد - إسقاط - النظام».. ثم استأنفا التأليف والابتكار: «ما بدنا زبالة please.. بدنا تشيلو الزبالة من البلد لأنّو نحنا كتير زعلانين.. زبالة.. زبالة..».

كلمات صاغوها وغنّوها بلحن ظريف يشبههما..

#زبالة_ زبالة_ نحنا_ كتير_ زعلانين.

مجموعة جديدة قد تنضّم إلى الحراك، مَن يدري؟

عدنان، أنت باق معنا وبيننا، ويليقُ بك فرحٌ ببراءة حراكِ حفيدَيْنا..

ربما سيحضّران يافطة جديدة «بدنا جدّو.. وينو جدّو.. بدنا نشوفو...» استعداداً لحراكِ آتٍ..

تصبح على وطن عدنان.

& عدنان حلواني خُطف من منزله في بيروت بتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٨٢، وهو واحد من آلاف المفقودين والمخفيين قسرياً الذين ما تزال مصائرهم مجهولة.

&& توفيق خوّام، ٨٧ عاماً، أحرق نفسه على كرسيه المتحرّك بتاريخ ١١ أيلول ٢٠١٥، في بيروت تحت جسر البسطة التحتا، واضعاً حداً لعذاباته، لحياة التشرّد والإهمال والإذلال.

جريدة السفير ٢٠١٥©